الأفعال الكلامية في نصوص واقعة الطف

ابتهال حسن كاظم
أ.د .عامر صلال الحسناوي
العراق/ جامعة المثنى/ كلية التربية للعلوم الانسانية.

ملخص البحث:
أصبح مفهوم الفعل الكلامي، نواة مركزية في الكثير من الأعمال الخطابية، ويتلخص مفهومه بأنه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، لتحقيق أغراض إنجازيه، كالطلب والأمر، والوعد والوعيد، إلى أنّ يكون ذا تأثير في المخاطب، اجتماعيًا أو مؤساساتيًا، من ثم إنجاز شيء ما، وبالرجوع إلى ما كتبه الفيلسوفان جون أوستين وتلميذه جون سيرل في هذا المفهوم اللغوي، فإنّ الفعل الكلامي يعني ذلك التصرّف الإرادي الذي ينجزه الإنسان بالكلام، فهو، الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معيّنة، ومن أمثلته: الأمر، والنهي، والوعد، والسؤال، والتعيين، والإقالة، والتعزية، والتهنئة... فهذه كلها "أفعال كلامية وقد جعل سيرل تصنيفها كتصنيف استاذه أوستن على خمسة أصناف وهي الاخباريات التوجيهيات، الالتزاميات، التعبيريات، التصريحيات أو الاعلانيات، وسيتناول البحث تمظهراتها في النص السّيري لواقعة الطف كما أوردها أصحاب المقاتل.

الكلمات المفتاحية: الافعال، الكلامية، السيرة، الطف.

Research Summary
The concept of verbal action has become a central nucleus in many rhetorical works, and its concept is summed up as each utterance based on a formal, semantic, performative, and effective system, to achieve the objectives of its achievement, such as request, order, promise, and threat, until it has an impact on the addressee, socially or institutionally, and then Accomplishing something Referring to what the philosopher John Austin and his student John Searle wrote in this linguistic concept, the verbal act means that voluntary behavior that a person accomplishes with words. Asking, appointing, dismissing, condolence, and congratulating... These are all "verbal acts" and he classified them as the classification of his teacher Austin on five Informative directives, commitments, expressions, statements or advertisements, and the research will deal with their manifestations in the biographical text of the incident of a kinder as reported by the fighter's owners.

المقدمـــة

يقع المفهوم اللغوي المعروف بـ"الأفعال الكلامية" في موقع متميّز من المذهب اللساني الجديد للخطاب التواصلي والسيري ، ويشكّل جزءًا أساسيًا من بنيته النظريّة، إذ هو الركن الأول من أركان هذا المنهج والدعامة الكبرى له، وتستأثر نظرية الأفعال الكلامية باهتمام الباحثين في جوانب النظرية العامة لاستعمال اللغة ، فعلماء النفس يرون اكتسابها شرطًا أساسيًا لاكتساب اللغة كلها[1]، وتعّد نظرية أفعال الكلام أساسًا نظريًا لإيضاح مفهوم وظيفة النص، فيمكن الحصول على تعريف لها قائم على أساس نظرية الفعل، فالباثّ يحاول بنصوص ومنطوقات معينة في عملية التواصل أن يؤثر في المتلقي وتوجيهه لهدف معين، وأنّ الأفعال اللغوية تنجز داخل الجماعة اللغوية على وفق قواعد قد تعلّمها كل شريك لغوي في عملية تكيفه الاجتماعي تعلمًا تامًا[2]

أصبح مفهوم الفعل الكلامي، نواة مركزية في الكثير من الأعمال الخطابية، ويتلخص مفهومه بأنه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري ، لتحقيق أغراض إنجازيه ، كالطلب والأمر، والوعد والوعيد، إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب، اجتماعيًا أو مؤساساتيًا ، من ثم إنجاز شيء ما)[3]، وبالرجوع إلى ما كتبه الفيلسوفان جون أوستين[4]، وتلميذه جون سيرل[5] في هذا المفهوم اللغوي، فإنّ الفعل الكلامي يعني ذلك التصرّف

الإرادي الذي ينجزه الإنسان بالكلام، فهو، الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معيّنة، ومن أمثلته: الأمر، والنهي، والوعد، والسؤال، والتعيين، والإقالة، والتعزية، والتهنئة... فهذه كلها "أفعال كلامية [6]

أولاً: الإخـــباريـــــات

تعد الأفعال الاخبارية التقريرية من الأفعال الكلامية الداخلة في تصنيف كل من أوستن ، وسيرل، وتعّرف على أنّها التعهد من المتكلّم للمستمع بحقيقة الخبر، وتقديمه على أنّه تمثيل لحالة موجودة في العالم ، وشرط الصدق في الاثباتيات هو دائمًا الاعتقاد فكل اثبات هو تعبير عن اعتقاد[7]، والغرض الإنجازي فيها هو نقل المتكلّم واقعة ما بدرجات متفاوتة، عن طريق قضية يعبّر بها عن هذه الواقعة، وأفعال هذا الصنف كلّها تحتمل الصدق والكذب، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم ويتضمن هذا الصنف معظم أفعال الايضاح عند وكثيراً من أفعال الاحكام [8]

ومن تمظهرات الأفعال الاخبارية في السيرة الطفية، قول الإمام الحسين عليه السلام بعد أن قام خطيباً في أصحابه، فحمدالله وأثنىٰ عليه وذكر جدّه فصلّىٰ عليه، ثمّ قال: ((إنّه قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون، وإنّ الدنيا قد تنكّرت وتغيّرت وأدبر معروفها واستمرّت جَذّاء، ولم يبق منها إلّا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعىٰ الوبيل، ألا ترون إلىٰ الحقّ لا يعمل به، وإلىٰ الباطل لا يُتناهىٰ عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربّه محقّاً، فإنّي لا أرىٰ الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برما))[9]

ومنه قول الإمام الحسين لاخته زينب عليهما السلام: ((يا أُختاه إنّي رأيتُ الساعة جدّي محمداً ﷺ وأبي عليّاً وأُمّي فاطمة وأخي الحسن وهم يقولون: يا حسين إنّك رائحٌ إلينا عن قريب))[10]

ومن الاخبار قول الإمام الحسين في اصحابه واهل بيته((أمّا بعد، فإنّي لا أعلم أصحاباً خيراً منكم، ولا أهل بيتٍ أفضل وأبرّ من أهل بيتي، فجزاكم الله عنّي جميعاً خيراً، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وليأخذ كل رجلٍ منكم بيد رجلٍ من أهل بيتي، وتفرّقوا في سواد هذا الليل وذروني وهؤلاء القوم، فإنّهم لا يريدون غيري))[11].

وينبغي هنا أن نلحظ مستويات الفعل الكلامي الانجازي في الامثلة وهي :

1- الفعل النطقي او اللفظي: [نزل تنكرت، تغيرت، أدبر معروفها ، إستمرت ، لم يبق منها ، الحق لايعمل به، الباطل لايتناهى عنه، رأيت، إنك رائح ، لا أعلم]، ومدلولها النطقي الاولي هو الاخبار.

2- الفعل الانجازي: وهو ما يؤديه الاخبار من معنى اضافي يكمن خلفه، وهو الأمر بالمعروف، الثورة على الباطل، رفض مبايعة يزيد، والحثّ على عدم طاعتهم، والتحذير من مسايرتهم، والترغيب بالالتحاق بركب الحق، ، والتعريض بهم وبظلمهم، والمدح للأصحاب والأهل.

3-الفعل التأثيري : وهوما يحدثه الاخبار والحث والتعريض في نفس المستمع ، ومحاولة التأثير فيه عن طريق اساليب التوكيد والأفعال الانجازية غير المباشرة، وهي الترغيب، والتحذير، والحث والتوجيه والمدح والتشويق للالتحاق بركب أهل البيت عليهم السلام.

4-الفعل القضوي : والذي يقرر وجود المرجع المتحدث عنه وهو الأمر، وهو أمر الله تعالى وقدره في المثال الاول، ونفسه ورؤيته في المثال الثاني، ومتحدث به الدنيا وسيطرة الظالمين عليها في المثال الاول ، والمحتوى القضوي ، وهو المعنى الاصلي للقضية وهو الاخبار بنزول الامر، والتنكر والادبار بشكل مباشر، والحّث والترغيب والتحذير، والمدح والتشويق للالتحاق بركب أهل البيت بشكل غير مباشر.

فالأفعال الإنجازية الاخبارية السابقة تصف وتنقل من المتكلم واقعة وقضية عالية المضامين ، عن طريق قضية تحتوي على خبر ومرجع ، تحقيقاً للمحتوى القضوي للأفعال الإنجازية، والخبر وان كان من حيث الثابت يحتمل الصدق والكذب الاّ أنّه هنا لا يحتمل الكذب؛ كونه صادر من أهل البيت الذين طهرهم الله من الرجس والدنس، مع ذلك إننا نجد المؤكدات الخبرية لتقوية إنجازية الفعل الإنجازي الخبري، ومنها التنبيه بالاداة [الاّ، أما بعد]، لأنّ الفعل الانجازي هدفه الاقبال والتنبيه لأهمية ما سُيلقى من كلام للمخاطب، ومنها استعمال أداة التوكيد [إن] بشكل مكّرر في كّل الامثلة ليضيف توكيداً باهمية الجعل الذي نسبه المتكلم إلى الله تعالى ولم ينسبه إلى نفسه مع علو مقامه وجلالة قدره بمقام النبوة ، ليُخبر المتكلم والناس أجمعين عن الفعل الإنجازي ، ولتحقيق شرط الاخلاص فيها وهو النقل الأمين للواقعة تلك ، والتعبير الصادق عنها باتجاه مطابقة ينطلق من الكلمات و الألفاظ إلى العالم الخارجي .

ومن أمثلة الأفعال الاخبارية التي وردت على لسان معسكر عمر بن سعد :

((قال الراوي: وجاء هؤلاء العشرة حتّىٰ وقفوا علىٰ ابن زياد لعنه الله، فقال أسيد بن مالك أحد العشرة.

نحن رضضنا الصدَر بعد الظهرِ **** بكلّ يعبوبٍ شديد الأسرِ

فقال ابن زياد لعنه الله: مَن أنتم؟ قالوا: نحن الّذين وطئنا بخيولنا ظهر الحسين حتّىٰ طحنّا حناجر صدره. قال: فأمر لهم بجائزة يسيرة))[12]

حيث نجد الأفعال الاخبارية المباشرة قد تمثلت بالملفوظات[رضّننا ، وطئنا، طحنا] وهي افعال اخبارية تخبر عن واقعة حدث وقام بها المتكلمون، الا ان الغرض غير المباشر للمتكلمين لم يكن الاخبار فحسب ، وانما الافتخار، وتثبيت الانجاز، وطلب الجائزة من الأمير.

ثانياً: التوجيهيات

وهي محاولة جعل المستمع يلائم المحتوى الخبري للتوجيه، كالأوامر والنواهي والطلبات، وقد عرّفها جون سيرل: بانها محاولة جعل المستمع يتصرف بطريقة تجعل من تصرفه متلائما مع المحتوى الخبري للتوجيه، وتتوفر النماذج على التوجيهيات في الأوامر والنواهي والطلبيات[13]، وغرضها الإنجازي هو محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما وشرط الإخلاص فيها يتمثل في الإرادة أو الرغبة الصادقة ، والمحتوى القضوي فيها هو دائمًا فعل السامع شيئاً ما في المستقبل، ويدخل في هذا الصنف الاستفهام، والأمر، والرجاء، والاستعطاف، والتشجيع، والدعوة، والاذن، والنصح، والتحدي، وأفعال القرارات، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات [14]، وأما الشرط المعّد لها فهو: قدرة المخاطب على أداء المطلوب منه، ويمكن أن تقسم على قسمين توجيهات نفسية [كالعتاب والطمأنة]، وطلبية [كالاستفهام، والنداء، والأمر، والنهي]، ولكل واحدة منها قوة إنجازية مباشرة، وأخرى غير مباشرة مستلزمة مقاميا، وتتميز التوجيهيات بالوضوح في التعبير عن قصد المتكلم، وذلك يزيل اللبس لدى السامع ويحقق التوجيه الصريح والاستجابة المباشرة وعدم إعطاء فرصة للتأويل أو التملص من مضمون التوجيه[15]

ومن مصايق التوجيهيات الواردة في سيرة الطف ممايأتي:

قال الإمام الحسين عليه السلام لأصحابه ((وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وليأخذ كل رجلٍ منكم بيد رجلٍ من أهل بيتي، وتفرّقوا في سواد هذا الليل وذروني وهؤلاء القوم، فإنّهم لا يريدون غيري))[16]

إذ نجد ان الفعل الكلامي التوجيهي المباشر قد اخذ شكل الأمر بقوله:[اتخذوه، ليأخذ، تفرقوا، ذروني]، وهي في المقام الأول اللفظي تدل على الأمر، الا أنها ومن حيث المتغير الفني والسياقي غير المباشر قد أعطت معنى الرخصة والجواز والإذن بالإنصراف في لباس أدبي وفني وجمالي انماز باستعمال الاستعارة والتشبيه عن طريق استعمال المتكلم لمفردات غشيكم والاستعارة للجمل في قطع المسافة والركوب ؛ إذ أعطى لليل صفة الركوب والامتطاء، كتعبير جمالي واستعاري ، كما نلحظ توافر شرط الإخلاص في المثال، والذي تمثل في الإرادة أو الرغبة الصادقة من المتكلم في منحهم الاذن للنجاة وعدم الاشتراك بالحرب، كما نلحظ توافر المحتوى القضوي، هو على الدوام فعل السامع شيئاً ما في المستقبل وهو هنا ركوب الليل والتفرق وتركه مع اعدائه.

كما نجده في قول حنظلة الشبامي[17]((قال الراوي: وجاء حنظلة بن أسعد الشبامي، فوقف بين يدي الحسين عليه السلام يقيه السهام والسيوف والرماح بوجهه ونحره وأخذ ينادي: يا قوم إنّي أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والّذين من بعدهم، وما الله يريد ظلماً للعباد، ويا قوم إنّي أخاف عليكم مثل يوم التناد، يوم تولّون مدبرين مالكم من الله من عاصم، يا قوم لا تقتلوا حسيناً فَيَسْحتكُمُ الله بعذابٍ وقد خاب مَن افترىٰ، ثم التفتَ إلىٰ الحسين عليه السلام وقال: أفلا نروح إلىٰ ربّنا ونلحق بأصحابنا؟ فقال له: بل رُحْ إلىٰ ما هو خيرٌ لك من الدنيا وما فيها وإلىٰ مُلكٍ لا يبلىٰ ، فتقدّم، فقاتل قتال الأبطال، وصبر علىٰ احتمال الأهوال، حتّىٰ قُتل، رضوان الله عليه))[18]

فالافعال التوجيهية قد تمظهرت بصيغة الأمر[بل رُحّ"، والنهي" لاتقتلوا" والاستفهام" أفلا نروح] والتي خرجت بطريق غير مباشر لغرض النصح والتوجيه والارشاد للضالين ، وتحذيرهم من سنن الامم والاقوام السابقة، ، كما نلحظ توافر شرط الإخلاص في المتكلم الذي تمثل في الإرادة أو الرغبة الصادقة بنصحهم وهدايتهم، وتوافر المحتوى القضوي، وهو فعل السامع شيئاً ما في المستقبل والذي يفترض هنا ان يكون ترك القتال للامام الحسين عليه السلام ، والرواح للجنة.

ومن تجليات الأفعال التوجيهية من معسكر عمر بن سعد والذي تمثل بقول ابن سعد لجنوده ((ويحكم اهجموا عليه مادام مشغولًا بنفسه وحرمه، والله ان فرغ لكم لا تمتاز ميمنتكم عن ميسرتكم فحملوا عليه...))[19]، وفيه نجد ان المتكلم عمد الى التوجيه بصيغه الامر ليتحول الى فعل انجازي مباشر فبعد قوله [اهجموا] يقول الراوي:[فحملوا

عليه ..] بما يعني تحول الأمر اللفظي إلى فعل انجازي خارجي التزم فيه المتكم بالصدق والإخلاص، كما كان المحتوى القضوي واضحًا في امتثال المستمع للامر التوجيهي وقيامه بالانجاز المباشر.

ومثله في قول الشمر للامام الحسين(عليه السلام) ((ياحسين ألآ ترى الفرات كأنّه بطون الحيات؟ فلا تشرب منه حتى تموت عطشا))[20]؛ إذ إن الاستفهام هنا من الافعال التوجيهية خرج لغرض غير مباشر، فالاستفهام هنا لم يرد لقصد الاستفهام كما هو مدلوله اللفظي وإنما خرج لأجل أغراض اخرى كالتشفي بالخصم ، والتوهين والاضعاف له.

ثالثاً: التعبـــيريـــات

التعبيريات أو البوحيات أو التصريحيات[21] نوع من افعال الكلام التي تبين ما يشعر به المتكلم وغرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النفسي تعبيراً يتوافر فيه شرط الإخلاص وليس لهذا الصنف اتجاه مطابقة فالمتّكلم لا يحاول أنّ يجعل الكلمات تطابق العالم الخارجي ولا العالم الخارجي يطابق الكلمات، وكل ما هو مطلوب الاخلاص في التعبير عن القضية[22]، وتعد وجهة الإنجاز تعبيراً عن الحالة السيكولوجية المخصصة ضمن شروط الاخلاص وتتعلق بحالة اشياء محددة في المضمون القضوي[23]

ومن أمثلة البوحيات في السيرة الطفّية قول يزيد بن مسعود النهشلي ((أمّا بعد، فقد وصل إليّ كتابك، وفهمت ما ندبتني إليه ودعوتني له من الأخذ بحظّي من طاعتك والفوز بنصيبي من نصرتك، وأنّ الله لم يخل الأرض من عاملٍ عليها بخير ودليل علىٰ سبيل النجاة، وأنتم حجّة الله علىٰ خلقه ووديعته في أرضه، تفرّعتم من زيتونة أحمديّة هو أصلها وأنتم فرعها، فأقدم سعدتَ بأسعد طائر، فقد ذلّلتُ لك أعناق بني تميم وتركتُهم أشدّ تتابعًا لك من الإبل الظِماء يوم خِمسها لورود الماء، وقد ذلّلت لك رقاب بني سعد وغسلتُ لك درن صدورها بماء سحابة مزن حتّىٰ استهلّ برقها فلمع، فلمّا قرأ الحسين (عليه السلام) الكتاب قال: آمنك الله يوم الخوف وأعزّك وأرواك يوم العطش الأكبر))[24]

فاذا ما عرفنا بأن التعبيريات أو البوحيات إنما هي بوح عن مشاعر المتكلم تجاه المخاطب ليتشارك معه بها تارة فتكون بوحيات اجتماعية أولًا ، به حاجة لمشاركتها مع أحد بها لتكون نفسية، فإننا نجد هنا بأنّ المتكلم يبوح بمشاعره تجاه المخاطب (عليه السلام) ليعبر له عن مكانته في نفسه وان مشاعره تجاه الإمام (عليه السلام) هي مشاعر صادقة ومخلصة، وقد فهمها المخاطب (عليه السلام) مما استوجب اخلاصه بأن يدعو له الإمام (عليه السلام) بالأمن والعز والرواء يوم العطش الأكبر، وملفوظاته التعبيرية الكلامية تعبيراً عن المكانة العالية والسامية التي يتربع عليها الإمام(عليه السلام) في نفس المتكلم.

فالفعل الكلامي تمثل هنا في الحبّ في أعلى درجات الفداء للإمام (عليه السلام) وشرط الإخلاص فيه هو الصدق والصراحة والاستعداد للتضحية والنصرة من المتكلم ومن القبائل التي معه، والغرض المتضمن هو التعبير عن الحالة النفسية والمكانة القلبية للإمام (عليه السلام)" في قلب المتكلم

ولا يوجد اتجاه للمطابقة لأن شرط الاخلاص يكفي عنها ويعوّض عنها.

ومن الأفعال البوحية المعبرة عن مكنون المشاعر والتي يكون لها أثرا انجازي في الخارج قول الإمام الحسين(عليه السلام) لاخيه العباس (عليه السلام): ((اركب بنفسِي أنتَ يا أخي حتّى تَلقاهُمْ... وتسألَهُمْ عمّا جاءَ بِهم...))[25]

ولا يخفى ما لهذا الفعل الكلامي التعبيري من دلالات نفسية واجتماعية ودينية، إذ نرى دلالة فداء ذاتٍ مُطهّرة تفتدى بنفس الإمام (عليه السلام) علّة الكائنات، وهو الصادرُ الأوّل، والمُمكنُ الأشرف، والفيض الأقدس للمُمكنات[26]

فالفعل الكلامي التعبيري غير المباشر هو المدح والثناء للمؤمن، والغرض المتضمن هو التعبير والاظهار والبوح بالموقف النفسي، إنّما هو تعبير يتوافر فيه شرط الإخلاص من القصد والصراحة ولا اتجاه للمطابقة هنا لتحقق شرط الإخلاص.

ومن الافعال التعبيرية التي وردت على لسان أهل الكوفة بعد أنّ خطبت فيهم فاطمة الصغرى واسمعتهم من التوبيخ والتقريع ما هم أهل له وبعد أنّ ضجوا بالبكاء والعويل فقالوا لها تعبيرا عن انكسارهم واعتذارهم وشعورهم بالذنب والتقصير والندم: ((قال: وارتفعت الأصوات بالبكاء، وقالوا: حَسْبُكِ يابنةَ الطيّبين، فقد أحرقت قلوبَنا وأنضحتِ نحورنا، وأضرمتِ أجوافنا، فسكتت))[27] فهم يبوحون بمشاعرهم ويعبرون عنها بملفوظات كلامية لها أثر انجازي، تجلّى بالسكوت عندما تم المراد من الفعل الانجازي التعبيري بقولهم [حسبك... أحرقت...أنضحتِ... أضرمت..] وكلّها تعابير فيها من الاستعارة والكناية مايعطيها قوةً انجازيةً اضافية في التعبير والبوح عن مشاعر المتكلم .

ومثله في التعبير عن البغض والكراهية قول عبيد الله بن زياد لزينب عليها السلام فقال لها ابن زياد: ((لقد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين والعصاة المردة من أهل بيتك، فقالت: لعمري لقد قتلتَ كهلي، وقطعتَ فرعي، واجتثثتَ أصلي، فان كان هذا شفاؤك فقد اشتفيت))[28]

ففي النص السيري أفعال كلامية، تعبيرية، بوحية، لفظية، تحمل قوة إنجازية، وتتضمن اظهار الموقف النفسي من بغض المتكلم للمخاطب، وتشفيه به، وشرط الاخلاص يتمثل في الرغبة الصادقة في البوح عن تلكم المشاعر بشكل علني وواضح ، ولا اتجاه للمطابقة لأن المتكلم يبوح بموقفه النفسي مكتفياً بالإخلاص في التعبير عن القضية في محتواها القضوي، وهو ما فهمه المستمع وايده بقوله[فقد اشتفيت].

رابعاً: الإلزاميات

وتسّمى الوعديات أيضًا، وهي أفعال كلامية يقصد بها المتكلم الالتزام طوعاً بفعل شيء للمخاطب في المستقبل بحيث يكون المتكلم مخلصاً في كلامه، عازماً على الوفاء بما التزم به كأفعال الوعد والوعيد، والمعاهدة، والضمان والإنذار[29].

ومن تجليات الأفعال الإلزامية حوار الإمام الحسين عليه السلام مع عمر بن سعد ((فقال له عليه السلام: يابن سعد أتقاتلني؟ أما تتقي الله الذي إليه معادك؟ فأنا ابن مَن قد علمتَ! ألا تكون معي وتدع هؤلاء فإنّه أقرب إلى الله تعالى؟ ، قال عمر: أخاف أنْ تهدم داري. قال الحسين: أنا أبنيها لك، فقال: أخاف أنْ تؤخذ ضيعتي، قال عليه السلام أنا أخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز، ويروى أنّه قال لعمر:أعطيك البغيبغة، وكانت عظيمة فيها نخل وزرع كثير، دفع معاوية فيها ألف ألف دينار فلَم يبعها منه، فقال ابن سعد: إنّ لي بالكوفة عيالاً وأخاف عليهم من ابن زياد القتل، ولما أيس منه الحسين قام وهو يقول ما لك، ذبحك الله على فراشك عاجلاً، ولا غفر لك يوم حشرك، فوالله إنّي لأرجو أنْ لا تأكل من بُرّ العراق إلا يسيراً، قال ابن سعد مستهزءًا: في الشعير كفاية))[30] .

وتتكون بنية الأفعال الكلامية الإلزامية أو الوعدية من الآتي :-

- الفعل الكلامي النطقي : ويتمثل في التركيب اللفظي والمعجمي والنطق الصوتي للملفوظات [أنا أبنيها لك ، أنا أخلف عليك خيراً منها، ذبحك الله على فراشك، فوالله إنّي لأرجو أنْ لا تأكل] .
- الفعل القضوي: ويتمثل بالمرجع المتحدث عنه ومحور الحديث، وهم أهل البيت عليهم السلام والمتمثلين به عليه السلام ومقاتلته، والمتحدث به أو الخبر وهو قتالهم والإصرار على حربهم ، والمحتوى القضوي المشترك بينهما، وهو الالتحاق بركبه عليه السلام للتقرب إلى الله تعالى.
- الفعل الإنجازي: ويتمثل بالوعد من الإمام عليه السلام ببناءه الدار، والاخلاف على المخاطب، والضمان له بالغنى وعدم الحاجة، والوعيد بسوء عاقبته بالذبح ، وعدم المغفرة، وعدم التهنئة بالحكم على العراق، والقسم بألاّ يأكل من بُرّ العراق الاّ يسيرًا.
- الفعل التأثيري: ويتمثل بمحاولة المتكلم التأثير في السامع بجملة من الأساليب المؤثرة في مشاعره وأفكاره ، بأسلوب النداء، وأسلوب الاستفهام، وأسلوب القسم، والترغيب والضمان، ومن ثم التذكير بعقاب الله تعالى ، ومن ثم استشراف سيرته الذاتية في المستقبل، بالوعيد((ذبحك الله على فراشك عاجلاً، ولا غفر لك يوم حشرك، فوالله إنّي لأرجو أنْ لا تأكل من بَرّ العراق إلاّ يسيراً)) والوعيد فعل كلامي التزامي إنجازي ، ويسمى الغرض الوعدي ، ويطلق عليها الملزمات وهي تعبر عما ينويه المتكلم[31].

ومن أفعال الالتزام والوعد قول علي بن الحسين عليه السلام: لخطيب السلطة الأُموية الذي ذم الإمام الحسين عليه السلام واباه ومدح معاوية : ((ويلك أيها الخاطب، اشتريتَ مرضاة المخلوق بسخط الخالق، فتبوّأ مقعدك من النار))[32] .

ومن الوعيد قول عبد الله بن عفيف الاسدي[33] :

أُقسم لو يُفسح لي عن بصري ** ضاق عليكم موردي ومصدري

تتكون بنية الفعل الكلامي في النصين مما يأتي :-

1. الفعل الكلامي النطقي: ويتمّثل هنا في التركيب اللفظي والنطقي للملفوظات الوعدية وهي [فتبوّأ مقعدك من النار.. ، أُقسم لو.. ، ضاق عليكم]

2. الفعل القضوي : ويتمثل بالمرجع المتحدّث وهو الخطيب في المثال الاول، والبصر في الثاني ، والمتحدث به او الخبر وهو الالزام والوعيد بالنار، وضيق المورد والمصدر، والمحتوى القضوي للقضية الآ وهو عظيم الجرأة على الله تعالى، وعظيم الظلم في محاربة المكفوف.

3. الفعل الانجازي : ويتمثل بالوعد والوعيد بالنار، والتهديد والانذار بسوء العاقبة، والقسم من المتحدث للمستمع.
4. الفعل التأثيري : و يتمّثل بمحاولة المتكلم التأثير على المستمع لترغيبه وترهيبه، وانذاره من عقاب الله حين يشتري رضى المخلوق بسخط الخالق، والوعيد والتخويف لو كشف البصر للمتحدث .

ومن مظاهر الفعل الالزامي أو الوعدي في كلمات معسكر أعداء الإمام الحسينعليه السلام فقد تجّلت بأفعال التهديد والوعيد والإنذار، ومنها قول يزيد في رسالته لواليه على المدينة((خُذ الحسين وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن الزبير، بالبيعة أخذاً شديداً، ومَن أبى فاضربْ عنقه، وابعث إليَّ برأسه))[34]

إذ يتجلّى الفعل الإنجازي بملفوظات الوعيد والتهديد من نحو [اضرب عنقه، ابعث لي برأسه] وهي تجليات الأفعال الإلزامية التي يلزم المتحدث نفسه بتطبيقها والعمل بها، كما يظهر الفعل التأثيري بمحاولة المتكلم التأثير في السامع، إذ تضمن النص السيري صيغة الشرط وجوابه[ومَن أبى فاضربْ]، كأسلوب تأثيري في السامع، وكتوثيق لعرى الوعيد والالتزام في تحقق جواب الشرط حال تحقق الفعل المشروط به وهو أخذ البيعة.

خامساً: الإيقـــاعيـــات

الأفعال الايقاعية: تلك الأفعال التي يكون إيقاع الفعل فيها مقارناً لِلَفظة في الوجود فانت توقع بالقولِ فعلاً [35] والتي ينشأ إحداث تغيير في الوضع القائم بمجرد التصريح بها، أي إن القول بأمر ما هو إحداث لذلك الأمر، فاذا أعلن القاضي ان: الموظف بريء يترتب عليه براءة الموظف فعلاً)[36] ويتوجب على المتكلم فيها تسنم دور مؤسساتي في سياق معين لإنجاز الاعلان بصورة صحيحة، وباستعمالها يغير المتكلم العالم عِبرَ الكلمات[37] ويقوم الإنجاز الناجح، لطابع الإدلاءات في تحصيل أحد أعضائها على التقارب المطلوب بين المضمون القضوي والواقع ، فاذا انجزت اعلان فان الحرب ستكون معلنة بشكل جيد ، ويكون هذا الخط المميز للإدلاءات شيئاً مستقلاً عن باقي القضايا الأخرى، وهذا ما شد انتباه أوستن، عن طريق تحاليله الاولى للإنجازات وشرط الاخلاص هنا هو الاعتقاد[38].

ومن تجليات الايقاعيات السيرية في واقعة الطف والدالة على ايقاع الاقرار، وايقاع الطلاق، وأفعال أوقعت الإبراء والتنازل ما يأتي:

فمن الاقرار قول الإمام الحسين عليه السلام: [صدق ، بلى]، نعم في الكثير من نصوص الواقعة، ومنها: ((ثم سارعليه السلام حتّىٰ بلغ ذات عرق، فلقيٰ بشر بن غالب، وارداً من العراق، فسأله عن أهلها، فقال: خلّفتُ القلوبَ معك والسيوفَ مع بني أميّة.

فقال عليه السلام : صدق أخو بني أسد، إنّ الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

قال الراوي : ثمّ سارعليه السلام حتّىٰ أتىٰ الثعلبية، وقت الظهيرة، فوضع رأسه، فرقد ثمّ استيقظ، فقال: قد رأيت هاتفاً يقول: أنتم تسيرون والمنايا تسير بكم إلىٰ الجنّة .

فقال له ابنه عليعليه السلام: يا أبة أفلسنا علىٰ الحق؟ فقال: بلىٰ يا بني والذي اليه مرجع العباد)) [39].

في النصوص أفعال تصريحية اقرارية من المتكلم، وهي من صنف الايقاعيات التقريرية التي هي فعل الأمريات ، وهي [صدق أخو...، بلىٰ يا بني والذي اليه...] غرضها حمل المخاطب على الايمان والتصديق، والاستسلام لقدر الله، وهي أفعال تؤثر في العالم الاعتباري والشرعي ، ولها تأثير في ضبط العلاقة بين الإنسان وخالقه ويترتب على الاخلاص بها مخالفات شرعية واخلاقية كبيرة، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات ومن الكلمات إلى العالم وهو اتجاه مزدوج كما قّرره سيرل وهذا يلائم الايقاعيات والتقريرات ولإنشائيات عنده هي ما ينتمي إلى مجموعة الايقاعيات [40]

ومن تمثلاتها في الابراء والتنازل: قولهعليه السلام لأحد صحابته ((رحمك الله، أنت في حلّ من بيعتي، فاعمل في فكاك ابنك))[41] ، ومنها قوله لجون((أنتَ في إذنٍ منّي، فإنّما تبعتنا طلباً للعافية، فلا تبتل بطريقنا))[42]

فالمتكلم استعمل الفعل الكلامي واراد منه إيقاع التنازل والتصريح به للمخاطب، والغرض المتضمن هو الترخيص، والقوة الإنجازية الآمرية تنبع من كون المتكلم يمتلك السلطة التشريعية والدينية و الروحية على المخاطب، ونرى تحقق الشرط التمهيدي بذلك، كما إن الآمر يعتقد بقدرة المأمور على فعل الترخيص المأمور به ، فضلاً عن شروط المحتوى القضوي في طلبية الفعل وإنجازه في المستقبل وشروط الجدية والشرط الأساس[43] ونرى بأن المتكلم قد توسل لتحقيق غرضه الإنجازي باستعمال لام الأمر ، والتي تعبر عن الالزام والتي تناسب الاستعلاء في مقام المتكلم النبوي ، كما نرى استعمال تنوع الاساليب من الأمر إلى النهي واستعمل الفاء للتفريع وغيرها من أدوات التأثير والتواصل مع المستمع.

ومن تمظهرات إيقاع الطلاق في السيرة الطّفية ما حدث من أحد صحابة الإمام الحسين عليه السلام لزوجته ليتفرغ لنصرة الإمام عليه السلام ((فمضىٰ إليه زهير، فما لبث أن جاء مستبشراً قد أشرق وجهه، فأمر بفسطاطه فقوّض وبثقله ومتاعه فحوّل إلىٰ الحسين عليه السلام وقال لامرأته: أنتِ طالق، فإنّي لا أُحبّ أن يصيبك بسببي إلّا خير، وقد عزمتُ علىٰ صحبة الحسين عليه السلام لأفديه بروحي وأقيه بنفسي...))[44]

وفعل الطلاق بحسب الشرع هو إيقاع، ويكفي فيه أن يقول الزوج (أنت طالق) بشروط معينة ذكرها الفقهاء ليكون قد قام بفعل كلامي نتيجته فسخ العلقة الموجودة بينه وبين المخاطب (الزوجة)[45].

ومن الافعال الايقاعية التي قام بها معسكر عمر بن سعد، والتي تمثلت بالاقرار الكثير، والتصريح المتكرر بفضل أهل البيت عليهم السلام عندما قام الإمام الحسين عليه السلام((فقام عليه السلام واتّكىٰ علىٰ قائم سيفه ونادىٰ بأعلىٰ صوته، فقال: أنشدكم الله هل تعرفونني؟

قالوا: اللهمّ نعم، أنت ابن رسول الله وسبطه.

قال : أنشدكم الله هل تعلمون أنّ جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قالوا: اللهم نعم....))[46] حتى أعادوا الاقرار بنعم عشر مرات ، وعقب كل مناشدة.

وهذه الاقرارات التي انتزعها المتكلّم عليه السلام من المخاطب تمثل تصريحًا منهم، وإذعانًا بالحجة ويصل تأثيرها إلى الهوية التي يتعرف بها المسلم من غيره ، ويترتب على الاخلال بالإقرارات بها مخالفات شرعية وعقوبات قانونية واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات ومن الكلمات إلى العالم – اتجاه مزدوج – ، وهذا الاتجاه يلائم الايقاعيات والتقريرات[47].

ومن الاعلانات التصريحية في ايقاع القتال والحرب على أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وعائلة الحسين عليه السلام وصحبه ما ورد من الدعوة الصريحة لقتالهم وحرق بيوتهم ، وهي افعال كلامية إعلانية انجازية، قد تحولت الى أفعال بعد النطق بها والامر بمضمونها من المتكلمين كما روي عن ((عمرو بن الحَجّاج لمّا قال لأصحابه: قاتِلوا مَن مَرق عن الدِّين وفارق الجماعة. فصاح الحسين عليه السلام: ويحك يا عمرو! أعليَّ تحرّض النّاس؟ أنحن مرقنا من الدِّين وأنت تقيم عليه؟! ستعلمون إذا فارقت أرواحنا أجسادنا مَن أولى بصليّ النّار))[48].

الخاتمـــــــة

خلص البحث إلى عدة نتائج كان أهمها:

- اشتمال النص السيري التراثي على اصناف الافعال الكلامية ، ليصبح مفهوم الفعل الكلامي النواة المركزية في الكثير من الأعمال السيرية، وكان تجلياتها واضحة وجلية في الامثلة التي تناولها البحث.
- تمظهر في البحث مستويات الفعل الكلامي الانجازي في عدة أمثلة، وهي افعال اخبارية تخبر عن واقعة حدثت وقام بها المتكلمون، الا ان الغرض منها قد يكون اخباريا مباشراً ،وتارة يكون غير المباشر لغرض الاخبار فحسب ، وانما الافتخار او الانكار او التعظيم ، وتثبيت الانجاز، وغيره من الاغراض غير المباشرة.
- كما ظهر أنّ الافعال التوجيهية قد تمظهرت بصيغة الأمر، والنهي والاستفهام، والتي خرجت بطريق غير مباشر لغرض النصح والتوجيه والارشاد أو التحذير.
- تبين أن في النص السيري أفعال كلامية، تعبيرية، بوحية، لفظية، تحمل قوة إنجازيه، وتتضمن اظهار الموقف النفسي من كالحب والبغض وغيرها، وكانت مستجمعة لشرط الاخلاص والذي تمثل في الرغبة الصادقة في البوح عن المشاعر بشكل علني وواضح .
- تجلّى في البحث تمظهرات للفعل الالزامي أو الوعدي الإنجازي بملفوظات الوعيد والتهديد وغيرها من أغراض غير مباشرة، وهي تجلّيات الأفعال الإلزامية التي يلزم المتحدث نفسه بتطبيقها والعمل بها، كما ظهر الفعل التأثيري متمثلاً بمحاولة المتكلم التأثير في السامع، إذ تضمن النص السيري صيغة الشرط وجوابه وغيرها من صيغ التأثير.
- نلحظ في النصوص السيرية أفعال ايقاعية دلت على الايقاع للإقرار، والايقاع للطلاق، وأفعال أوقعت الإبراء والتنازل، وهي من تجليات الايقاعيات في النصوص الطفيّية.

الهوامش

[1]() ينظر: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداويلة لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث الساني العربي : مسعود صحراوي: 5·

[2]() ينظر: التحليل اللغوي للنص : كلاوس برينكر، ترجمة : سعيد حسن بحيري123 ·

[3]() التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية مسعود صحراوي: 40 ·

[4]( ) هو (ج. ل. أوستن) ، فيلسوف جامعة اوكسفورد (1960–1911) أحد النقاد الأكثر نفوذا ، وقد ناقش الفلاسفة آراؤه بإسهاب ، ليتم بالمحصلة تجاوز معاملة اللغة باعتبارها مجرد مجموعة من البيانات الوصفية ، إلى فهم جديد تحت اسم المدرسة الاستعمالية للغة: ينظر: الفعل الكلامي/ هشام ابراهيم خليفة:39

[5]( ) هو فيلسوفٌ أمريكي، من مواليد 31 يوليو/تموز 1932، مختص في فلسفة العقل واللّغة وأستاذٌ بكلّية الدراسات العليا بجامعة كاليفورنيا بيركلي، قام بتطوير نظرية استاذه أوستن والتعديل عليها ، ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المَعاصر: 73 ·

[6]() ينظر: التداوليات علم استعمال اللغة ، حافظ اسماعيلي علوي: 22 ·

[7]() ينظر: العقل واللغة والمجتمع جون سيرل : 217 ·

[8]() ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : 79. ·

[9]() الملهوف: 138 ·

[10]() المصدر نفسه: 150 ·

[11]() المصدر نفسه : 151 ·

[12]() الملهوف: 183 ·

[13]() ينظر: العقل واللغة والمجتمع : 218 ·

[14]() ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : محمود نحلة: 79 ·

[15]() ينظر: الأفعال الكلامية في القرآن الكريم دراسة تداولية : محمد مدور : 178 ·

[16]() الملهوف: 151 ·

[17]() حنظلة بن أسعد بن شبام بن عبد الله بن أسعد بن حاشد بن همدان الهمداني الشبامي ، كوفي، وهو من وجوه الشيعة ذا لسان وفصاحة ، شجاعا قارئًا ، وكان له ولد يدعى عليًا ، له ذكر في التاريخ: ينظر: تاريخ الطبري : ٣ / ٣٢٩. ·

[18]() الملهوف:165 ·

[19]() مقتل الحسين عليه السلام :المقرم: 291 ·

[20]() المصدر نفسه : 291 ·

[21]() المقاربة التداولية: فرانسواز أرمينكو: 67 ·

[22]() ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : 80 ·

[23]() ينظر: المقاربة التداولية : 68 ·

[24]() الملهوف : 113 ·

[25]() مقتل العباس عليه السلام : المقرم: 218 ·

[26]() ينظر: المصدر نفسه: 205 ·

[27]() الملهوف: 197 ·

[28]() الملهوف: 201 ·

[29]() ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : 104.

[30]() مقتل الحسين عليه السلام المقرم:212 ·

[31]() التداولية : جورج يول: 90 ·

[32]() الملهوف: 219 ·

[33]() المصدر نفسه: 205 ·

[34]() مقتل الحسين عليه السلام المقرم: 127 ·

[35]() ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : 98.

[36]() ينظر : الأفعال الكلامية في القرآن ، دراسة تداولية :309.

[37]() ينظر : التداولية: جورج يول: 89.
[38]() ينظر : المقاربة التداولية : 68.
[39]() الملهوف: 131 ·
[40]() ينظر : العقل واللغة والمجتمع : 220.
[41]() الملهوف: 154 ·
[42]() المصدر نفسه: 163 ·
[43]() التأويل الدلالي و التداولي : (بحث): إدريس سرحان: 167، ضمن كتاب :علم استعمال اللغة ،حافظ اسماعيل.
[44]() الملهوف :133 ·
[45]() ينظر: نظرية الأفعال الكلامية : 106 ·
[46]() الملهوف 146 ·
[47]() ينظر: الأفعال الكلامية في القرآن الكريم : 316 ·
[48]() مقتل الحسين عليه السلام :المقرم: 250 ·

المصادر والمراجع

القران الكريم

1. افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية ، الطبعة الاولى ،2002م.
2. الأفعال الكلامية في القرآن الكريم سورة البقرة دراسة تداولية ، محمد المدور ، اطروحة دكتوراه، كلية الاداب واللغات ، جامعة لخضر ، الجزائر،2014 .
3. التحليل اللغوي للنص : كلاوس برينكر، ترجمة : سعيد حسن بحيري ،مصر ، القاهرة، مؤسسة المختار، الطبعة الاولى،2005.
4. التداوليات علم استعمال اللغة ، مجموعة باحثين ، إعداد وتقديم د.حافظ إسماعيلي علوي ، عالم الكتب الحديث الأردن ، الطبعة الاولى ، 2011 م.
5. لتداولية جورج يول ، ترجمة قصي العتابي الدار العربي للعلوم، ناشرون ، الطبعة الاولى 2010، م.
6. التداولية عند العلماء العرب دراسة تداويلة لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث الساني العربي ، د.مسعود صحراوي ، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ، الطبعة الخامسة ، 2005 م .
7. العقل واللغة والمجتمع (الفلسفة في العالم الواقعي) ، جون سيرل ، ترجمة سعيد الغانمي ، الطبعة الاولى ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، الطبعة الاولى ،2006م.
8. نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي ، هشام ابراهيم عبدالله خليفة ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، الطبعة الاولى ، 2007م.
9. المقاربة التداولية ، فرانسواز ارمينكو ، ترجمة د. سعيد علوش ، مركز الأنماء القومي ، الرباط ، (د.ط)، 1986م المقاربة التداولية: فرانسواز أرمينكو
10. مقتل الحسين عليه السلام: عبد الرزاق الموسوي المقرم، منشورات مؤسسة النور للمطبوعات ، لبنان- بيروت، الطبعة الأولى،2002م.
11. مقتل العباس عليه السلام : عبد الرزّاق المُقرّم، تحقيق محمّد الحسّون ، الغدير ،قم، ايران، الطبعة الاولى،2006.
12. نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب طالب السيد هاشم الطبطبائي ، مطبوعات جامعة الكويت ، (د.ط) ، 1994م.